

# الفصل الأول

## الحركة النقشبندية في الدولة العثمانية

محمد عيسى الشريفين

دكتوراه في الحديث النبوي الشريف، أستاذ الحديث وعلومه، كلية الشريعة، جامعة آل البيت، الأردن

oneyseh@yahoo.com

### المقدمة :

فقد جعلتها موضوع ورقتي هذه. وسأبحث في ورقتي: جذور النشأة التاريخية لهذه الطريقة، والامتداد التاريخي والانتشار الجغرافي، والمساهمات الفكرية لأصحاب الطريقة في نشر الإسلام أو في التصدي للبدع والخرافات وإصلاح المجتمع المسلم، والرؤى والأفكار الإصلاحية والتجديدية لمشايخ هذه الطريقة في دار الإسلام، أو شطر منه.

أولاً: جذور النشأة التاريخية لهذه الطريقة

ترجع الجذور الأولى لنشأة الحركة النقشبندية للقرن الثامن الهجري، لمؤسسها المشهور بهاء الدين النقشبند، الذي ولد في شهر محرم الحرام سنة سبع عشرة وسبعمائة للهجرة، ويعد ذلك العصر، العصر الذهبي للحركات الصوفية. ولإلقاء الضوء بشكل جلي على نشأة هذه الحركة لا بد من ترجمة مختصرة للشيخ النقشبند:

ف "هو الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد بن محمد المشهور بالنقشبند، والملقب بمحمد البخاري، ولد في شهر محرم الحرام سنة سبع عشرة وسبعمائة هجرية في قرية قصر هندوان، التي سميت فيما بعد بقصر عارفان من قرى بخارى على فرسخ منها، وقد كان الشيخ بهاء الدين بالإضافة إلى السلوك يتنقل بين علماء الشرع، وبخاصة علماء السنة النبوية لدراساتها، وقد حج مرتين، ثم توفي الشيخ ليلة الاثنين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وسبعمائة وعمره أربع وسبعون سنة، ودفن في بستانه، وقد رثى عشرات الألوف من المريدين<sup>(١)</sup>. وقد كان لهذه الحركة انبعاث آخر في عهد الدولة العثمانية تمثل في مولد مجددتها أبي البهاء ضياء

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".<sup>(٢)</sup> ولا شك في أن ذكر المحاسن والمناقب يدخل في جملة الحب، الذي يوصل المحب إلى ما قال به المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: "المرء مع من أحب"<sup>(٣)</sup> نسأل الله أن يحشرنا جميعاً في زمرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. وإن لذكر المحاسن والمناقب فوائد جمة على رأسها أن الأمة تستلهم الدروس والعبر من نجاحات حققتها جماعات أو مجموعات على مدار التاريخ، وما أحوج الأمة أن تستلهم الدروس والعبر من نجاحات من نجحوا من السابقين. ولا شك في أن للسادة الصوفية مناقب كثيرة كان على رأسها المحافظة على هذا الدين والدفاع عنه، ولهم في الوقت نفسه تألمات باهرة على مدى التاريخ، والعامل يدرس المناقب كي يأخذ منها، ويدرس الأخطاء والهفوات لكي يتعد عنها، ف "كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب ذاك القبر"، ولكن التركيز على المثالب وترك المناقب مثلية؛ إذ لا يجوز ذكر الجرح دون التعديل لمن ورد فيه جرح وتعديل -هكذا نص علماء الجرح والتعديل -ومن منا أفراداً وجماعات وحركات لا يحمل الاثنين: الجرح والتعديل.

وقد كان من بين الحركات الصوفية التي كان لها منقبة الدفاع عن هذا الدين، وحققت نجاحات باهرة خاصة إبان الحكم العثماني الرشيد للأمة الإسلامية، الحركة الصوفية النقشبندية؛ إذ كان لها الفضل الكبير في الحفاظ على هوية المسلمين عقوداً طويلة من الزمن. ولما لهذه الحركة من الأهمية

وسلم. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم "ما صب في صدري شيئاً إلا وصيبته في صدر أبي بكر"، وهذا ليس بمادي بل حب معنوي يعني: المعرفة والحكمة، وهي أسرار تسبب السعادة وتسمى هذه الحالة في علم التصوف، بالضمنية، وسميت بعد ذلك بالنقشبندية نسبة إلى بهاء الدين النقشبندي، وكذلك سميت باسم أشهر الرجال في نقشبند، مثل عبيد الله الأحرار، والإمام العالم الرباني والمجدد مولانا خالد النقشبندي، فقيل الأحرارية، المجددية، الخالدية، ويلاحظ أن أحداً منهم لم يستطع إخفاء اسم النقشبند، حتى الإمام الرباني، ولا تزال هي العلم على هذه الطريقة.<sup>(٥)</sup> وقد انتشرت الطريقة النقشبندية في معظم بقاع العالم. ولا شك في أن لهذا الانتشار أسراراً فـ"إن اعتدال السلوك النقشبندي وما فيه من اتباع الشريعة، ويسر الطريقة كان سبباً في شيوع هذه الطريقة."<sup>(٦)</sup>

وانتشرت هذه الحركة في العالم الإسلامي على نحو كبير، فلا تجد منطقة من العالم الإسلامي والحركة النقشبندية منتشرة فيها، وفي الوقت نفسه انتشرت الحركة في المناطق التي توجد فيها أقليات إسلامية في الولايات المتحدة وأوروبا وكندا وأستراليا وغيرها.

ثانياً: المساهمات الفكرية لأصحاب الطريقة في نشر الإسلام والتصدي للبدع والخرافات وإصلاح المجتمع المسلم

لا نستطيع القول إن الحركة قد كانت لها إسهامات فكرية مستقلة، بل انبنت الخطوط العامة لفكر الجماعة على ما انبنى عليه الفكر الصوفي بعامة منذ نشأته، وقد كان لأصحاب هذه الطريقة اليد العليا في زرع أفكار التصوف في رقعة كبيرة من العالم، وكذلك في نشر الإسلام، وكذا في التصدي للبدع والخرافات وإصلاح المجتمع، وسيكون حديثي هنا بالتجاهين:

١- جهودهم في التصدي لأعداء هذه الأمة ونشر الإسلام:

كان للحركة النقشبندية الدور الكبير في التصدي لأعداء الإسلام والمسلمين وبالذات الخطر المتمثل في الوثنية المغولية، والصفوية الشيعية، وهما من أعظم الأخطار التي

الدين الشيخ خالد قدس سره" فقد ولد سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف في قسبة قره داغ على خمسة أميال من السليمانية، نشأ في حجر والده، وقرأ القرآن والفقه والشافعي، وبرع بالنثر والنظم قبل بلوغ الحلم، ثم رحل إلى السليمانية، وهناك تلقى العلوم عن أساطينها، وقدم بغداد وقرأ على علمائها ثم رجع إلى السليمانية وتولى التدريس فيها، وكان لا يحايي أحداً، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، نافذ الكلمة محمود السيرة، ثم رحل إلى الحج، وبعد أدائه الحج رجع إلى الشام، ثم رحل في سنة أربع وعشرين ومائتين وألف إلى الهند، ومرو في طريقه بطهران وهناك ناظر بعض علماء الشيعة كالشيخ الكاشي وغيره في موقفهم من أبي بكر، وأفحمهم بالدلائل الدامغة، ووصل إلى جيهان آباد، وهناك أخذ عن الشيخ عبد الله النقشبندي الطريقة، ثم رجع إلى السليمانية، وبعدها إلى دمشق وبغداد حيث كان له الأثر الرئيس في انتشار الطريقة الصوفية في البلاد العربية، توفي رحمه الله سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف،<sup>(٧)</sup> ونستطيع القول إن الشيخ خالداً منظر رئيس من منظري الطريقة النقشبندية؛ إذ إن المادة النظرية المتمثلة في الكتب التي كتبها، -وعادة ما كان يخرجها بأسماء بعض مريديه، وكذلك كل الرسائل التي كان يرسلها لمريديه- كانت تشكل على الدوام مرجعاً من أهم مراجع الحركة. وبقراءة متأنية لسلسلة مشايخ هذه الطريقة العلية، يستطيع المتأمل أن يقف على سبب رئيس من أسباب النجاح الباهر الذي حققته هذه الطريقة، ويتمثل في شخصيات فريدة عملت بدأبٍ مخطط له لإنجاح هذه الحركة.

ومن المفيد ذكره أن أصحاب هذه الطريقة يرون أن طريقتهم تمتد إلى الصحابي الجليل أبي بكر الصديق عليه السلام؛ إذ "يرى أصحاب الطريقة النقشبندية أن طريقتهم كانت تسمى الصديقية" نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم (الطيفورية) نسبة إلى أبي يزيد البسطامي واسمه طيفور، ولا يعني أن أبا بكر وعلياً سُميَ مذهباً خاصاً، والمقصود أن السلسلة من مرشد إلى مرشد تصل إلى سيدنا أبي بكر أو علي رضوان الله عليهما، أو معناه أننا نطبق ما تحلى به سيدنا أبو بكر الصديق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه

الروسي على آسيا الوسطى، فكان لهم دور في إذكاء الروح القتالية لدى شعوب تلك المناطق من أجل الدفاع عن الإسلام. ويتنسب إلى الطريقة النقشبندية الإمام محمد علي الذي قاد الثورة ضد القياصرة عام (١٣١٦هـ/١٨٩٨م) في منطقة فرغانة (أوزبكستان حالياً)، والنقشبنديون هم الذين كشفوا خداع لينين ووعوده الزائفة، وكان هدف رجال هذه الطريقة في ذلك الحين العمل على محاربة الكفر وإخراج المحتل الروسي. ويذكر الشيخ النقشبندي أوزن حجي في أثناء دعوته لإقامة حكومة ترتبط بالدين: "سوف نقيم حكومة إسلامية بإذن الله؛ فلا يصح أن يقوم نظام جمهوري في بلد إسلامي، ولو أننا قبلنا هذا النظام نكون قد تخلىنا عن الخليفة، وبالتالي عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عن الله تعالى في النهاية. وقد تمكن أوزون حجي بفضل جهاده أن يعلن استقلال إمارة شمال القوقاز في الشيشان".<sup>(٨)</sup>

٢- جهودهم في التصدي للبدع والخرافات وإصلاح المجتمع المسلم:

تصدت الحركة النقشبندية للبدع والخرافات، وقد كانت هذه المهمة على رأس أولويات شيوخ هذه الطريقة، وقد وصفها غير واحد من العلماء قديماً وحديثاً بأنها طريقة خالية من كدورات جهلة الصوفية، فقد ذكر العلامة المتبحر الشيخ ابن حجر الهيتمي المكي رحمه الله تعالى في خاتمة الفتاوى، الطريقة العلية النقشبندية مستطرداً من بحث آخر معبراً عنها بقوله: الطريقة العلية السالمة من كدورات جهلى الصوفية وهي طريقة النقشبندية.<sup>(٩)</sup>

وقد كان من وصايا الشيخ خالد النقشبندي -الذي يعد بحق مجدداً من مجددى الحركة النقشبندية- الإعراض عن الرسوم الجاهلية والبدع الردية، وأن لا يغتر أصحاب هذه الطريقة بشطحات الصوفية، حيث قال في بعض رسائله لأتباعه: "أما بعد: فأوصيكم وأمركم بالتأكيد الأكيد بشدة التمسك بالسنة السنية والإعراض عن الرسوم الجاهلية والبدع الردية وعدم الاغترار بشطحات الصوفية".<sup>(١٠)</sup>

وفي كتاب (الحديقة الندية) للشيخ محمد بن سلمان البغدادى يروي أن الشيخ محمد مراد الأربكي قال: "إن الطريقة النقشبندية طريقة الصحابة الكرام باقية على

هددت الأمة الإسلامية فترة ليست بالقصيرة، فقد "كان للطريقة النقشبندية دورها الفعال في التصدي للوثنية المغولية إلى جانب جهودها العظيمة في الحيلولة دون شيوع الدعاية الصفوية الشيعية في البلاد، إضافة إلى دورها في نشر الطابع السني على المدن والقصبات".<sup>(١١)</sup> وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه لا علاقة البتة بين التصوف والتشيع من الناحية السياسية، فالقطيعة بين التصوف السني وبين التشيع بادية، يستنتج معالمها من درس التصوف بشكل منصف؛ إذ حافظت الحركة الصوفية المعتدلة على سنية جميع المناطق التي دخلتها. وثمة دليل آخر على أن لا علاقة البتة بين النقشبندية بالذات والتشيع الصفوي، هو أن مشايخ الطريقة النقشبندية وبخاصة الشيخ خالد، كانوا على جدال قوي مع الشيعة في القضايا المهمة، كمسألة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ولعل معرفة مشايخ السادة النقشبندية وزياراتهم لإيران أوهمت من لا معرفة له بأن العلاقة وثيقة بين النقشبندية والشيعة، ويرد على هذا بأمرين اثنين:

الأول: أن طلبة العلم في عهد الدولة العثمانية كانوا يتعلمون اللغة الفارسية بالإضافة إلى اللغة العربية.

ثانياً: أن زيارة علماء النقشبندية لإيران كان بمهدفين:

- أن الطريقة النقشبندية انتشرت في إيران خاصة في مناطق أهل السنة من الأكراد.
- أن علماء النقشبندية كانوا يناظرون الشيعة في مسائل حساسة، ويردون عليهم.

أما على صعيد نشر الإسلام، فقد كان هذا الشأن وما زال من أولى أولويات الحركة في المناطق التي دخلتها، فقد أسلم على يد أبناء الحركة خلق كثير يعجز المحصي عن إحصائهم، ف"الجدير بالذكر أن معظم قادة الإسلام وعظماء الذين ناضلوا وكافحوا أعداء الدين في تلك المناطق مناطق القوقاز، ينتسب معظمهم إلى الطريقة النقشبندية، وقد بدأ دور النقشبندية في نشر الإسلام وتثبيتته في مواجهة أعدائه على امتداد الزمن منذ بداية الهجمات المغولية حتى صد المعتدي الروسي عن المنطقة. ففي نهاية القرن الثامن عشر ظهر في داغستان وبلاد الشيشان دعاة النقشبندية الذين قدموا من شيروان وآسيا الوسطى، وتصدوا للزحف

النقشبندية قد حافظوا على هذه المرجعية على مدار التاريخ، ولا يكدر صفو هذا الاعتماد بعض السلوكات التي سلكها من انتسب إليهم اسماً، فهذه تحسب عليه لا عليهم.

٢- العلاقة بين الذكر والعبادة عند السادة النقشبندية:

وقد طرحت هذا الموضوع هنا لأزيل إشكالا أثير حول الحركات الصوفية بعامه، ويتمثل هذا الإشكال أن البعض يغلب جانب الذكر وهو عبادة على العبادات المطلوبة على وجه الفرضية؛ فأوردت هذا العنوان لأدلل على أن السادة النقشبندية كانوا بمنأى عن ذلك، وكانوا يهتمون بالعبادة المطلوبة ويقدمونها على الذكر، ولا يرون بحال أن الذكر يسد مسد العبادة أو يعفي المكلف منها، فقد قال إمامنا- الغوث الصمداني، والقطب الرباني، مجدد الألف الثاني: الشيخ أحمد الفاروقي قدس الله سره في رعاية الشريعة: "اعلم أن رعاية أدب من الآداب والاجتناب ولو كراهة ولو تزيهية أفضل من الذكر والفكر والمراقبة والتوجه بمراتب، نعم إذا جمع هذه الأمور مع تلك الرعاية فقد فاز فوزاً عظيماً، ولا يحصل ذلك بدون دوام العبودية؛ إذ المقصود من خلق الإنسان إنما هو أداء وظائف العبودية." (١٥)

٣- علاقة النقشبندية بالملوك وولاية الأمور:

دارس تراجم علماء هذه الطريقة ومصنفاتهم يستطيع الوقوف على معالم موقف جلي لهذه الحركة فيما يخص موقفهم من الحاكم، فهم وبعامه جماعة محايدة في قضايا الحكم، حيث يفضل مشايخ الطريقة عدم التصادم مع ولاية الأمور، والحفاظ على علاقة جيدة معهم، ولا يدخل في أدبياتهم التأمر على ولاية الأمور أو الكيد لهم، بل الدعاء لهم وعدم إشاعة سيئاتهم والستر عليهم، ولقد ساعدتهم هذا الموقف مساعدة كبيرة وساهم إلى حد كبير في نشر مذهبهم، فقد ورد في رسائل الشيخ خالد النقشبندي: (١٦)

"ولا تداخلوا مع الملوك والأمراء وأعوأهم فإنكم لستم من له قوة إصلاح هؤلاء، ولا تقتنابوهم ولا تسبوهم بطراً وغروراً بزعم أنهم ظلمة وأنتم صلحاء، فإنه عجب وجهل؛ إذ ما منا أحد ليس بظالم، بل عليكم بالدعاء لولي الأمر وأعوأه بالتوفيق والإصلاح، فقد روى الطبراني في معجمه الكبير والأوسط بإسناده، قال صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا

أصلها، ولم يزدوا ولم ينقصوا وهي عبارة عن دوام العبودية ظاهراً وباطناً بكمال الالتزام بالسنة والعزيمة، وتام اجتناب البدعة والرخصة في جميع الحركات والسكنات من عادات ومعاملات، مع دوام الحضور مع الله تعالى على طريق الذهول والاستهلاك." (١٧)

ثالثاً: الرؤى والأفكار الإصلاحية والتجديدية لمشايخ هذه الطريقة في دار الإسلام، أو شطر منها. يجد دارس هذه الحركة أن لها أفكاراً إصلاحية تجديدية، ولا نقصد بالتجديد هنا الجديد، إنما تجديد ما اندرس من معالم هذا الدين وإعادته إلى واقع الحياة التي يحياها المسلمون.

١- أن معتقد أهل هذه الطريقة هو معتقد أهل السنة:

معتقد السادة النقشبندية هو معتقد أهل السنة والجماعة، فقد تابعوا الإمامين الماتريدي والأشعري في مسائل الاعتقاد ولم يحيدوا عنها، وقد ورد: "اعلم أيها الطالب لمعرفة الله تعالى وفقنا الله وإياك أن معتقد سادتنا النقشبندية، قدس الله أسرارهم الزكية، هو معتقد أهل السنة والجماعة، ومبني على طريقهم في حفظ أحكام الشريعة المطهرة." (١٨) ثم ورد تأكيد آخر لهذه الحقيقة فـ "إن ثمرة هذه الطريقة النقشبندية، هي الحضور الدائم في حضرة الحق تعالى، وترسيخ العقيدة الإسلامية عقيدة أهل السنة والجماعة، واتباع سنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم." (١٩) وقد وردت نصوص كثيرة من أئمة الطريقة العلية تفيد بأن اعتقادهم اعتقاد أهل السنة. ولا نلتفت هنا إلى الخلاف الحاصل في فروع الاعتقاد بين السادة الصوفية وبعض المتمسكين برأيهم؛ إذ الخلاف في فروع العقيدة مستساغ، وأعجب العجب أن يعمد البعض إلى تضخيم بعض المسائل الخلافية البسيطة حتى يصل إلى التزليل والتفسيق بل التكفير، وهذا ما يتناقض مع هديه صلى الله عليه وسلم.

ويرى أصحاب هذه الطريقة أن كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم هي معينهم "وأصول هذه الطريقة هي: كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والصالحين من التابعين وتابعي التابعين إلى يوم الدين." (٢٠) ومعلوم أن السادة الصوفية

القلب محل نظر الله الغفار ومعدن الأسرار ومنبع الأنوار، وبفساده يفسد الجسد كله، وقد قدم السادة النقشبندية أدلة من الكتاب والسنة تدل على أن الذكر القلبي أفضل من الذكر اللساني، وأضافوا إلى ذلك أقوال كبار الصوفية الذين يختارون الذكر القلبي على اللساني، فقد استدلووا من الكتاب بقوله تعالى: «واذكر ربك في نفسك» (الأعراف: ٢٠٥)، وقوله تعالى: «ادعوا ربكم تضرعاً وخفية» (الأعراف: ٥٥)، ومن السنة: «خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي»، رواه أبو عوانة وابن حبان في صحيحيهما والبيهقي، قال بعض العارفين: الذكر بالقلب سيف المريد به يقاتلون أعداءهم وبه يدفعون الآفات التي تقصدهم، وإن البلاء إذا دخل على العبد وفرغ بقلبه إلى الله تعالى يمنع منه في الحال كل ما يكرهه، أما كيفية الذكر فالذكر القلبي عندهم قسمان: الأول: باسم الذات، والثاني: بالنفي والإثبات، فاسم الذات هو الله، وذكر النفي والإثبات: لا إله إلا الله. وللذكر أحد عشر أدباً:

- ١- الطهارة.
- ٢- صلاة ركعتين.
- ٣- استقبال القبلة.
- ٤- الجلوس متوركاً.
- ٥- الاستغفار من جميع المعاصي.
- ٦- قراءة الفاتحة مرة والإخلاص ثلاث مرات.
- ٧- تغميض العينين وإصباغ الشفة بالشفة.
- ٨- رابطة القبر، وهي عبارة عن ملاحظة الموت بأن تتصور نفسك بأنك ميت.
- ٩- رابطة المرشد.
- ١٠- أن يجمع جميع حواسه البدنية ويقطع عنها جميع الشواغل والخواطر القلبية.
- ١١- انتظار وارد الذكر عند الانتهاء يسيراً قبل أن يفتح عينيه. (١٩)

رابعاً: أصول تعاليم الطريقة النقشبندية للسادة النقشبندية أصول خاصة بهم، أسهمت في تمييز أتباع هذه الطريقة عن غيرها "وأصول تعاليمها في أحد عشر أصلاً، وهي:

الأئمة وادعوا لهم بالصالح فإن صلاحهم صلاح لكم". ولا تدخلوا الطريقة بعد اليوم أحداً منهم ومن أعوانهم، ولا من التجار المتفكرين بالدنيا المنهمكين في الشهوات، ولا من العلماء وطلبة العلم الذين جعلوا العلم وسيلة الجاه عند الخلق وجمع الحطام، ولا من البطالين الذين يستندون إلى الطريقة بسبب البطالة ليملوا أثقالهم إلى رقاب الناس باسم الصلاح. واعلموا أن أحبكم إليّ أقلكم أتباعاً وعلاقة بأهل الدنيا، وأخفكم مؤونة وأشغلكم بالفقه والحديث. (١٧) ونلاحظ أن هذا المنهج أي موقفهم من ولادة الأمور قد سلوكه إبان الحكم العثماني، أما بعد انهيار الحكم العثماني فقد تغير الموقف وساهمت الحركة في تشكيل أحزاب معارضة تهدف إلى تصحيح المعوج، وقد تمخضت هذه الحركات عن وصولهم إلى الحكم بقيادة نجم الدين أربكان، ولم يدم حكمهم مدة طويلة، حيث انقلب العسكر عليهم، ثم رجعوا إلى الحكم مؤخرًا بقيادة رجب أردوغان.

٤- مسلك السادة النقشبندية للوصول إلى قمة المراد:

للسادة النقشبندية وسائلهم الخاصة في الوصول إلى المراد، والحققة أن المشايخ الذين وصفوا هذه الطريقة مجمعون على أنها اتباع للشريعة أولاً، والدوام على الذكر والفكر والعبودية والإخلاص والإيثار ونكران الذات ثانياً، وللنقشبندية ثلاث طرق للوصول إلى قمة المراد:

١- الدوام على الذكر.

٢- المراقبة.

٣- طاعة المرشد. (١٨)

٥- الذكر عند السادة النقشبندية:

من الأمور المتفق عليها بين السادة الصوفية دوام الذكر، وللسادة النقشبندية منهجهم في ذكر الله، ولهم أوراد خاصة يتلقاها المريد عن شيخه، وكما هو معلوم فإن الذكر ذكران: قلبي ولساني:

بقلب فذكر الله خفياً

عن الخلق بلا حرف وقال

وهذا الذكر أفضل كل ذكر

بهذا قد جرى قول الرجال

ولذلك اختار السادة النقشبندية الذكر القلبي؛ لأن

وعدّ نفسه مع ذلك مقصراً في ذلك الحضور الماضي، واستأنف حضوراً أتم، وإن كان حاله الغفلة، استغفر منها وأناوب ورجع إلى الحضور التام.

١٠- الوقوف العددي: ومعناه المحافظة على عد الوتر في النفي والإثبات: ثلاثاً أو خمساً وهكذا إلى إحدى وعشرين مرة.

١١- الوقوف القلي: ومعناه حضور القلب مع الحق سبحانه وتعالى على وجه لا يبقى للقلب مقصود غير الحق سبحانه، ولا ذهول عن معنى الذكر، وهو من شروط الذكر التي لا بد منها، أو هو كون الذاكر واقفاً على قلبه وقت الذكر بحيث يتوجه إلى قلبه ويجعله مشغولاً بلفظ الذكر ومعناه، ولا يتركه غافلاً عنه وذاهاً عن معناه. (٢٠)

خامساً: آداب الطريقة النقشبندية

أما عن آداب الطريقة النقشبندية فيقول القطب بهاء الدين، إن لهذه الطريقة ثلاثة آداب:

- أدب مع الله سبحانه وتعالى: وهو أن يكون المريد في الظاهر والباطن مستكماً لعبوديته بامثال الأوامر واجتناب النواهي، معرضاً عن سواه بالكلية.

- أدب مع رسوله صلى الله عليه وسلم: وهو أن يستغرق في مقام "فاتبعوني" ويعي ذلك في جميع الأحوال وجوباً، ويعلم أنه صلى الله عليه وسلم واسطة بين الحق والخلق، وأن كل شيء تحت تصرف أمره العالي.

- أدب مع المشايخ: وهو لازم للطالبيين؛ لأنهم سبب في متابعتهم صلى الله عليه وسلم، ووصلوا إلى مقام الدعوة إلى الحق، فينبغي للمريد حضوراً أو غيبة أن يكون مراعيّاً لأحوالهم مقتدياً بهم متمسكاً بأذيالهم.

سادساً: تجديد الخطاب الديني لدى السادة النقشبندية لا بُدّ للحركات الإسلامية وعلى الدوام الانتباه إلى قضية الخطاب الإسلامي، فتجدهدده كلما اقتضى الأمر ذلك،

ولا نقصد بالتجديد التغيير أو إلغاء السابق والإتيان ببديل له، بل المقصود من ذلك مخاطبة الناس بما يألّفون ويفهمون، فلا يعقل أن تخاطب أبناء هذا العصر بخطاب لا يألّفونه. وقد انتبه مشايخ الطريقة النقشبندية إلى ضرورة تجديد الخطاب

١- حفظ النَّفس عن الغفلة عند دخوله وخروجه وبينهما؛ ليكون قلبه حاضراً مع الله في جميع الأنفاس، لأن كل نفس تدخل وتخرج بالحضور فهي حية موصولة بالله، وكل نفس تدخل وتخرج بالغفلة فهي ميتة مقطوعة عن الله.

٢- على السالك أن لا ينظر في حال مشيه إلا لقدميه ولا في حال قعوده إلا بين يديه، فإن النظر إلى النقوش والألوان يفسد عليه حاله ويمنعه مما هو بسبيله، لأن المبتدي إذا تعلق قلبه بالمبصرات اشتغل قلبه بالتفرقة الحاصلة من النظر على المبصرات لعدم قوته على حفظ القلب.

٣- الانتقال من الصفات البشرية إلى الصفات الملكية الفاضلة، فيجب على السالك أن يتفحص نفسه، هل في قلبه بقية حب الخلق؟ فإذا عرف شيئاً من ذلك اجتهد في زواله.

٤- الخلوة في الجلوة، والمراد أن يكون قلب السالك حاضراً مع الحق في الأحوال كلها، غائباً عن الخلق مع كونه بين الناس، والخلوة نوعان، الأول: الخلوة من حيث الباطن، وهي كون الباطن في مشاهدة أسرار الحق، والثاني: والظاهر في معاملة الخلق.

٥- تكرار الذكر على الدوام، سواء باسم الذات أو النفي أو الإثبات، إلى أن يحصل له الحضور بالذكور.

٦- رجوع الذاكر في النفي والإثبات بعد إطلاق نفسه إلى المناجاة بهذه الكلمة الشريفة: "إلهي أنت مقصودي، ورضاك مطلوبي"، وملاحظتها تؤكد النفي والإثبات، وتورث القلب الذاكر سر التوحيد الحقيقي حتى يفنى عن نظره وجود جميع الخلق.

٧- أن يحفظ المريد قلبه من دخول الخواطر ولو لحظة.

٨- التوجه الصبر المجرّد عن الألفاظ إلى مشاهدة أنوار الذات الأحدية. والحق أنه لا يستقيم بعد الفناء التام والبقاء السابق.

٩- الوقوف الزماني: معناه أنه ينبغي للسالك بعد مضي كل ساعتين أو ثلاث أن يلتفت إلى حال نفسه كيف كان في هاتين الساعتين أو الثلاث، فإن كان حاله الحضور مع الله تعالى شكر الله تعالى على هذا التوفيق،

الدين، ومن ذلك ما قاله الإمام محمد بن عبد الله الخاني النقشبندي: "اعلم أيها الطالب أن كتب الطريقة كثيرة واضحة، وشهيرة، ولكن لا بد كما قال بعضهم لكل عصر مترجم، يترجم كلام أهل العصر الذي قبله، حتى يفهم أهل العصر الذي بعده".<sup>(٢١)</sup>

#### الخلاصة:

تعود نشأة الطريقة النقشبندية إلى القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي في آسيا الوسطى، ثم قضى لها أن تبعث من جديد خلال القرن العاشر إلى السادس عشر الميلادي على يد الدولة العثمانية. وانتشرت انتشاراً واسعاً في مشرق العالم الإسلامي وفي إيران وبلاد الشام، والولايات الخاضعة للدولة العثمانية.

ونخص أتباع هذه الطريقة بدور مهم في نشر الإسلام السني، والتصدي للبدع والخرافات، وإصلاح المجتمع المسلم، والتصدي لخط النشاط الشيعي الصفوي، كما أسهمت بدور مهم في مقاومة الحكم الشيوعي في البلدان المستعمرة التي خضعت للسيطرة الروسية.

## المراجع

- (١) البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، مصر: دار طوق، ط ١، ٢٠٠٢م، كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم ١٣. انظر أيضاً:
- الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م، كتاب: الإيمان، باب: على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم، حديث رقم ٨٩.
- (٢) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: الأدب، باب: علامة حب الله سبحانه وتعالى، حديث رقم ٥٨٢٢.
- (٣) أبو الزيد المهدي، جودة. ما هو التصوف ما هي الطريقة النقشبندية، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٨م، ص ٢٣٨.
- (٤) الكردي، محمد أمين. المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية، مصر: مطبعة السعادة، ط ١، ١٣٢٩هـ، ص ٢٥٥-٢٨٠.
- (٥) أبو الزيد المهدي، ما هو التصوف ما هي الطريقة النقشبندية، مرجع سابق، ص ٢٣٣، ٢٣٤.
- (٦) المرجع السابق، ص ٢٣٣، ٢٣٤.
- (٧) درويش، هدى. دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، مصر: معهد الدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ١٢٠.
- (٨) المرجع السابق، ص ١٢٠، ١٢١.
- (٩) النقشبندی، محمد بن عبدالله الخاني. البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ١٦. (يقال إن المؤلف الحقيقي لهذا الكتاب هو الشيخ خالد النقشبندی، انظر مقدمة الكتاب)
- (١٠) المرجع السابق، ص ١٣٧-١٣٨.
- (١١) جودة، ما هو التصوف ما هي الطريقة النقشبندية، مرجع سابق، ص ١٩٥-١٩٦. انظر أيضاً:
- النقشبندی، البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية، مرجع سابق، ص ١٦-١٧.
- (١٢) النقشبندی، البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية، مرجع سابق، ص ٩.
- (١٣) أبو الزيد المهدي، ما هو التصوف ما هي الطريقة النقشبندية، ص ٢٣٤.
- (١٤) المهدي، إسماعيل. دراسة في الطرق الصوفية، القاهرة: دار الحديث، ط ١، ١٩٩٣م، ص ١٩٦.
- (١٥) النقشبندی، البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية، مرجع سابق، ص ٩.
- (١٦) من مشايخ النقشبندية في الدولة العثمانية، تنسب له الطريقة العلية الخالدية النقشبندية، انظر:
- النقشبندی، البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية، مرجع سابق، ص ١٢١ وما بعدها.
- (١٧) النقشبندی، البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية، مرجع سابق، ص ١٣٧-١٣٨.
- (١٨) أبو الزيد المهدي، ما هو التصوف ما هي الطريقة النقشبندية، مرجع سابق، ص ١٩٦.
- (١٩) النقشبندی، البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية، مرجع سابق، ص ٧٥-٧٦. انظر أيضاً:
- المهدي، دراسة في الطرق الصوفية، مرجع سابق، ص ١٩٩-٢٠٤.
- (٢٠) النقشبندی، البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية، مرجع سابق، ص ٨٠-٨٦. انظر أيضاً:
- المهدي، دراسة في الطرق الصوفية، مرجع سابق، ص ١٩٦-١٩٩.
- (٢١) النقشبندی، البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية، مرجع سابق، ص ٧.